التـــــــركـــــة

(حجرة انتظار فى بيت ولى الله)

(حجرة ذات طابع عتيق. فى الصدر كونصول. باب إلى اليمين وآخر إلى اليسار، تصطف بجوانبها كنبات تفصل بينها كراسى. ثمة حصُر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة)

(يدخل فتى وفتاة. يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة، ثم يقفان فى الوسط)

* * *

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفتى : إنه يكره ذلك ، مازلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحوارى المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحوارى كسائحة .

الفتاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفتى : لِمَ دعانى يا ترى؟

الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .

الفتى : ظننت أن الماضى لن يعود .

الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .

الفتى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك؟

الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى .

(الفتى يبتسم من خلال ثوان من الصمت)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذلكَ الفراق الطويل؟

الفتاة : إنك وحيده وللقلب حنينه ، ومن يدرى فلعلك . . .

الفتى : لعلى؟

الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .

الفتى : طردنى يافعا ولا مليم فى جيبى .

الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين؟

الفتى : تشردت وجعت ولولا . . .

الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .

الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .

الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .

الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .

الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .

الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .

الفتى : العبى دور الزوجة بإتقان .

الفتاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .

الفتى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزّاب .

الفـــتـــاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الـفـــتـى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .

الفـــتـــاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وأنك مغامر ؟ !

الـفـــتـى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .

الفـــتـــاة : تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .

الـفـــتـى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل على صدق علاقتنا الزوجية .

(صـــمت)

الفـــتـــاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !

الـفـــتـى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .

الفـــتـــاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى !

(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)

الفـــتـــاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .

الـفـــتـى : أجـــل .

الفـــتـــاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .

الـفـــتـى : أناس هذه الأحياء طيبون !

الفـــتـــاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .

الـفـــتـى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .

الفـــتـــاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .

الـفـــتـى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .

الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .
الفتى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .
الفتاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى؟
الفتى : كفى عن الثرثرة ، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .
الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .
الفتى : هنا . . هنا ثروة طائلة !
الفتاة : هنا؟
الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .
الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .
الفتى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .
الفتاة : ماذا تعنى؟
الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .
الفتاة : من يخدم أولياء الله؟
الفتى : الشياطين !
الفتاة : هل تعنى ما تقول؟
الفتى : أعنى شياطين الأرض .
الفتاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين ، هل لك امرأة أب؟
الفتى : ماتت من زمن بعيد .
الفتاة : أهو طاعن فى السن؟
الفتى : جدا .
الفتاة : هذا يبشر بالخير !

الفــــــتى : لا تحلمى، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .

الفــــتـــاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك، عليك أن تقابله .

الفــــــتى : بل علينا أن ننتظر، إنى أعرف طبعه .

(صمت. يمشيان ذهابا وجيئة)

(يفتح الباب إلى اليسار. يدخل غلام حاملا مبخرة. غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا. يدور فى الحجرة حارقا البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة. يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما)

الفــــــتى: يا غلام.

(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما)

: هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ؟

الغـــــلام : الناس جميعا يقومون على خدمته .

الفــــــتى : وماذا تفعل أنت؟

الغـــــلام : إنى خادم البيت .

الفــــــتى : أنا ابن مولاك .

الغـــــلام : أعرف ذلك يا سيدى .

الفــــــتى : وكيف عرفتنى؟

(الغلام لا يجيب)

: لِمَ لا تجـيب؟

الغـــــلام : لَقد أجبت يا سيدى .

الفــــــتى : (باسما) طيب . . لقد جئت ملبيا دعوته .

الغـــــلام : أعرف ذلك يا سيدى .

الفــــــتى : ألا تدرى متى يدعونى إلى لقائه؟

الغـــــلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك . . .

الفتى : (مقاطعا) إنى أسألك متى يلقانى؟
الغلام : لقد ذهب .
الفتى : أين؟ . . ومتى؟
الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .
الفتى : ومتى يعود؟
الغلام : لن يعود .
الفتى : أنت تهذى يا غلام .
الغلام : سامحك الله يا سيدى .
الفتى : ولِمَ لن يعود؟
الغلام : (مَحنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه .
الفتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر؟
الغلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .
الفتى : ولِمَ لم يبق فى فراشه؟
الغلام : نذَر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .
الفتى : ولكنك تعرف مكانه؟
الغلام : كلا .
الفتى : ولماذا دعانى؟
الغلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم .
الفتى : وهل حملك رسالة إلىّ؟
الغلام : قال : دنا الأجل ، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .
الفتى : التركة؟!
الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك .
الفتى : ليرحمه الله . . أعنى ليمد الله فى عمره .

الفتاة : وأين التركة يا شاطر؟
الغلام : قال سيجيء غارقا فى الضلال صاحبا معه قرينة سوء .
(صمت مع تبادل نظرات)
الفتاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .
الفتى : ومتى تسلمنا التركة؟
(الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول)
الغلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة . . هاك المفتاح يا سيدى .
(يتناول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة. يهم الغلام بمغادرة الحجرة. الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)
الفتاة : ابق حتى نتسلم التركة .
(الفتى يزيح الحصيرة. يفتح الخزانة. يأخذ فى إخراج كتب صفراء. ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)
الفتى : الحق . . مدارج الروح . . سلام القلب .
(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها على الأرض)
الفتى : أين التركة؟
الفتاة : (للغلام) أنت سرقتها!
الغلام : سامحك الله .
الفتى : (مواصلا إخراج الكتب) أين التركة؟
الغلام : لا علم لى بما فى الخزانة .
الفتى : كان المفتاح معك .
الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)

الفـــــتى : التـــركـــة!

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفـــتـــاة : ثروة طائلة .

الفـــــتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك!

الغـــــلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب .

الفـــتـــاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الغـــــلام : تلك كانت وصيته .

الفـــــتى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف إذا شئت .

الغـــــلام : والتركـــة؟

الفـــــتى : هل ثمة تركة أخرى؟

الغـــــلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعنى هذه التركة .

الفـــــتى : ستنفذ الوصية بأمانة .

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الغـــــلام : ارفعى قدمـك .

الفـــتـــاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر .

الغـــــلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها .

الفـــــتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين .

(الغلام يعيد الكتب إلى الخزانة. يحملها باحترام وهو يبكى صامتا. ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)

الغـــــلام : إنى ذاهـــب .

الفـــــتى : مصحوبا بالسلامة .

(ثم مستدركا)

: انتظر، أنت غلام طيب، تحب أن تشتغل عندى؟

الغلام : أى شغلة يا سيدى؟

الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا.

الغلام : فى مقهى.

الفتى : خمارة، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه.

الغلام : إنى ذاهب يا سيدى.

الفتاة : مع السلامة.

(الغلام يذهب)

الفتاة : ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل؟

الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة.

الفتاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود.

الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق.

الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله.

الفتى : الأفضل بيعه، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع أرضا.

الفتاة : واشتر بالثمن عمارة، ولنبع الخمارة أيضا لنعيش أحراراً كأبناء الذوات.

الفتى : أفكار طائشة، سوف أنشئ ملهى ليليا يضاهى الأوبرج..

(يظهر رجل عند الباب الأيمن. يلبس جلبابا ومعطفا وهو ذو قامة ضخمة، وطابع رسمى كالمخبرين. يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة. يجيل فى المكان نظرة فاحصة، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك؟

الــــرجـــــل : هل أنت ابن ولى الله؟

الـفــــــتـى : نعم ولكن من حضرتك؟

الــــرجـــــل : مخبر من قوات الشرطة .

الـفــــــتـى : أكنت على موعد مع الشيخ؟

الــــرجـــــل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الـفــــــتـى : كيف عرفت ذلك؟

الــــرجـــــل : أسلم الروح فى الخلاء، فيما وراء مسكنى، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الـفــــــتـى : وأين جثمانه؟

الــــرجـــــل : فى المثوى الذى سنمضى إليه جميعا، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الـفــــــتـى : وماذا تريد حضرتك؟

الــــرجـــــل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الـفــــــتـى : لمــــاذا؟

الــــرجـــــل : أنت متهم بقتل أبيك .

الـفــــــتـى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفــــتـــــاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الــــرجـــــل : أنت متهم بقتل أبيك .

الـفــــــتـى : كف عن ترديد هذا السخف .

الــــرجـــــل : شهدته وهو يحتضر، وأنا أعرفه منذ قديم، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته!

الـفــــــتـى : محض افتراء وهذيان .

الــــرجـــــل : الميت لا يكذب، وهو ولى من أولياء الله .

الـفــــــتـى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الـــرجـــل : قال «إنى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد» .

الفـــتـــاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .

الـفـــتـى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة؟

الـــرجـــل : لنترك ذلك إلى التحقيق .

الـفـــتـى : أى تحقيق يا رجل؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .

الـــرجـــل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه؟

الـفـــتـى : المال ميراثى الشرعى .

الـــرجـــل : هل علمت بوفاته؟

الـفـــتـى : كـــلا .

الـــرجـــل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهو حى فى ظنك؟

الـفـــتـى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .

الـــرجـــل : أين غـــلامه؟

الفـــتـــاة : ذهـــب .

الـــرجـــل : استدعه ليدلى بأقواله .

الـفـــتـى : لا أدرى أين ذهب .

الـــرجـــل : هلم معى إلى القسم .

الـفـــتـى : لا جريمة هناك ألبتة .

الـــرجـــل : قتلت أباك وسرقت الدولة .

الـفـــتـى : الـدولة؟

الـــرجـــل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصـرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه؟

الـفـــتـى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد!

الـــرجـــل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .

الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه؟

الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة!

الرجل : إنك رجل شرير .

الفتى : أنت متحامل وسيئ الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة!

الفتاة : أنـا؟!

الرجل : أنت شريكته فى الجريمتين .

الفتى : أنا برىء **(يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل)** وهذا المال مالى .

الرجل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة؟

الفتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة علىّ .

الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة .

(الفتى يعطيه رزمة أخرى)

الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .

الرجل : والقضية وتكاليفها؟ . . والتحفظ على المال وتعرضه للضياع؟ .

الفتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .

الـــــرجــــــل : أتعاب المحاماة؟ . . الرسوم؟ . . سجنك؟ . . تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران؟

(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)

الـفـــــــتـى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .

الـــــرجــــــل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك . .

(صمت وتبادل نظرات حائرة)

الـــــرجــــــل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد؟

الفـــــتـــــاة : إنى زوجتــــه .

الـــــرجــــــل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .

الـفـــــــتـى : لقد أعطيت فدية لكلينا .

الـــــرجــــــل : بل فدية لك وحدك!

الـفـــــــتـى : مـاذا تريــد؟

الـــــرجــــــل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .

(يعطيه رزمة رابعة)

الـفـــــــتـى : هاك رزمة رابعة .

الـــــرجــــــل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الـفـــــــتـى : أتريد أن تستولى على نصف التركة؟

الـــــرجــــــل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك .

(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)

الـفـــــــتـى : تفضل مصحوبا بالسلامة .

(الرجل يدير ظهره ليذهب. الفتى يسل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل. الرجل حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض.)

يجىء بكرسى فيجلسه عليه ويخـرج من ملابسه حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمـة، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حـركة أو صوت فـسوف يساقـان إلى القسم. ثم يجىء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مـهددا ويكبلها بحبل آخر. يتجـه نحو النقـود على الخوان فيـستولى عليـها ثم يلفـها فى الحصيرة. يلقى عليهما نظرة ثم يذهب).

(الـفـتى يفيـق من أثر اللكمـة. ينظر فيـما حـوله. يتذكـر ما وقع. يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الـفـــــتـى : ذهـــب؟

الفـــــتـــاة : بعد أن استولى على النقود كلها . . .

الـفـــــتـى : (غاضبا) لِمَ لَم تصوتى؟ . . كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفـــــتـــاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الـفـــــتـى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفـــــتـــاة : تهورك هـو المسئول عـمـا حل بنـا ، لِمَ حـاولت الهـجوم عليـه؟

الـفـــــتـى : ليس من مبادئى أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفـــــتـــاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الـفـــــتـى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .

الفـــــتـــاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الـفـــــتـى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفـــــتـــاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .

الـفـــــتـى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفـــــتــــاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .

الـفـــــتـى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .

الفـــــتــــاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .

الـفـــــتـى : لم يعبث بى أحد من قبل .

الفـــــتــــاة : ها قد عبث بك كأنك لا شىء .

الـفـــــتـى : أين المفر؟ . . إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .

الفـــــتــــاة : إذا كان حقا مخبرا .

الـفـــــتـى : ولمَ لا يكون مخبرا؟

الفـــــتــــاة : كاَن يجب أن تطالبه بإبراز بطاقته الشخصية .

الـفـــــتـى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .

الفـــــتــــاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل .

الـفـــــتـى : كيف أصدق ما حصل؟

الفـــــتــــاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .

الـفـــــتـى : هو مجرم محترف على أى حال .

الفـــــتــــاة : ويخيل إلىّ . . ربما لم يكن إنسانا أيضا !

الـفـــــتـى : مـاذا تعـنين؟

الفـــــتــــاة : أعنى أننــا فى بيــت ولــى : وهـــو وكـــــر للأرواح والشياطين .

الـفـــــتـى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .

الفـــــتــــاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .

الـفـــــتـى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .

الفـــــتــــاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .

الـفـــــتـى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفـــــتـــــاة : لنفكر فى حالنا، نحن مقيدان بطريقة جهنمية، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد، الجو هنا لا أرتاح إليه. فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها.

الـفـــــتـى : يا مجنونة، يا مخرفة، ما هذا الهذيان؟

الفـــــتـــــاة : أنا خائفة.

الـفـــــتـى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جرأتك الداعرة؟

الفـــــتـــــاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك؟ جثة أبيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول، ولم ينبس المخبر - إذا كان حقا مخبرا - بكلمة، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير، ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا، وهناك الأرواح.

الـفـــــتـى : الأرواح!

الفـــــتـــــاة : أنا خائفة..

الـفـــــتـى : كيف قيدنا بهذا الإحكام؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل.

الفـــــتـــــاة : وقد يرجع للإجهاز علينا.

الـفـــــتـى : فليرجع.

(صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

الفـــــتـــــاة : كأننا فى حلم.

الـفـــــتـى : ولكنه أسخف من الحقيقة.

الفــــتـــاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الـفــــتـى : اضحكى إن استطعت .

الفــــتـــاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أبيك .

الـفــــتـى : ليرحمه الله .

الفــــتـــاة : ادعه أن ينقذنا .

الـفــــتـى : (ساخرا) أبانا الذى فى المشرحة . . أنقذ ابنك الوحيد .

الفــــتـــاة : ماذا كان رأيك فى أبيك؟

الـفــــتـى : كان دجالا كوحيده .

الفــــتـــاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الـفــــتـى : حارة مخبولة مسطولة .

الفــــتـــاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .

الـفــــتـى : ردى إلىّ ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .

الفــــتـــاة : لم نكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .

الـفــــتـى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين ، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة ، فى حى مكتظ بالأعداء ، ووراء ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة؟! . . كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .

(دقيقة صمت)

الفــــتـــاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .

الـفــــتـى : لا فرق بين النور والظلام .

الفــــتـــاة : كيف نخرج من هذا المأزق؟

الـفــــتـى : اصرخى . . صوتك أحد من الرصاصة .

الفـــتـــاة : لن يسمعنا أحد .

الـفـــــتـى : علينا أن ننتظر حتى يجىء إنقاذ من حيث لا ننتظر أو يجىء الموت .

(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)

الفـــتـــاة : لمَ دعاك أبوك؟

الـفـــــتـى : مَات سره معه .

الفـــتـــاة : مـاذا ظننت؟

الـفـــــتـى : قلت لعله حنين قلب عجوز .

الفـــتـــاة : لم تقل كل الحق .

الـفـــــتـى : وحلمت بثروة!

الفـــتـــاة : وقد وهبك ثروة .

الـفـــــتـى : وضاعت .

الفـــتـــاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .

الـفـــــتـى : فكرة سخيفة .

الفـــتـــاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .

الـفـــــتـى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .

الفـــتـــاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .

الـفـــــتـى : أراهن على أنك فقدت عقلك .

الفـــتـــاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير؟

الـفـــــتـى : نعـــم .

الفـــتـــاة : ولكنك عصيته؟

الـفـــــتـى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .

الفـــتـــاة : **(تضحك.. ولا تنبس)**

الـفـــــتـى : حاول معى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى . . .

الفـــتـــاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .

الـفـــــتـى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .

الفـــتـــاة : لم أسمع أحدا يثنى عليه مثلك .

الـفـــــتـى : إنى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفـــتـــاة : رأسى يدور .

الـفـــــتـى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شىء ولكن لابد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين؟

الفـــتـــاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الـفـــــتـى : سنخرج عاجلا أو آجلا .

الفـــتـــاة : عما قليل سيجىء الظلام .

الـفـــــتـى : فليجىء الظلام .

الفـــتـــاة : أنت المسئول عما وقع .

الـفـــــتـى : أنت جبانة .

الفـــتـــاة : وأنت وغد .

الـفـــــتـى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفـــتـــاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الـفـــــتـى : أو حتى يحل بنا الموت .

(الفتاة تبكى من القهر. وهو يضحك ضحكة عصبية).

الفـــتـــاة : إنه يؤدبك .

الـفـــــتـى : مـــن؟

الفـــتـــاة : أبـــوك .

الـفـــــتـى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

الفـــــتـــاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .

الـفـــــتـى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .

الفـــــتـــاة : وها قد وقعنا فى الفخ .

الـفـــــتـى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا .

(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء. لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)

الفـــــتـــاة : بدأ الليل يهبط . .

الـفـــــتـى : ليس فى وسع شيء أن يمنعه .

الفـــــتـــاة : كان فى وسعنا على الأقل . . .

الـفـــــتـى : **(مقاطعا فى تهكم)** كان يا ما كان . .

الفـــــتـــاة : أكره الظلام، أكره الأغلال، وسوف أجن .

الـفـــــتـى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .

الفـــــتـــاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى !

الـفـــــتـى : عودى إلى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .

الفـــــتـــاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .

الـفـــــتـى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .

الفـــــتـــاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .

الـفـــــتـى : فليأت الظلام .

الفـــــتـــاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .

الـفـــــتـى : اللعنة . . فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الخمارة .

الفـــــتـــاة : يا لها من نهاية رخيصة !

(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة. الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : إنى خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن أغنية بذيئة لنهزأ بالظلام .

(الفتاة تصرخ. صمت يتخلله بكاء خافت. ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار)

الفتاة : ألا ترى؟ . . نور فى الداخل ، يوجد شخص ، البيت مسكون!

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل؟

(يفتح الباب. يظهر الغلام وبيده مصباح. يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة!

: أنت! . . أكنت بالداخل طيلة الوقت؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتما .

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال؟

الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسيكما؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام؟!

الفـــــتى : أكنت موجودا بالداخل؟ . . أعنى ألم تغادر البيت؟
الغـــــلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .
الفـــــتى : لمـــاذا؟
الغـــــلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفـــــتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .
(الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب)
: يا غـــلام .
(الغلام يتوقف)
: تعـــال .
الغـــــلام : ماذا تريد يا سيدى؟
الفـــــتى : كيف لا تدرى ماذا نريد؟
الغـــــلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .
الفـــــتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغـــــلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .
الفـــــتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيل .
الفـــــتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .
الغـــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفـــــتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغـــــلام : سامحك الله .
الفـــــتاة : لص أثيم نهبَ ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .
الغـــــلام : علىّ أن أذهب .

الفـــــتى : لا تغضب مولاك فى قبره .

الغــــلام : مولاى ارتفع إلى السماء .

الفـــــتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .

الغــــلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .

الفـــــتى : أتعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة؟

الغــــلام : لا أدرى .

الفـــــتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .

الغــــلام : لا أدرى .

الفـــــتى : أقدم ولا تخف .

الغــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفـــتـــاة : من أجل خاطرى، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .

الغــــلام : إنى ذاهــب .

الفـــــتى : انتظر، . . ألا ترى، إنى أريد تركة أبى الحقيقية .

الغــــلام : أنت تعلم بمكانها .

الفـــــتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .

الغــــلام : سبق أن نبذتها .

الفـــــتى : أنا نادم على ذلك!

الغــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

(الغلام يستأنف السير)

الفـــتـــاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة .

(الغلام يواصل السير دون مبالاة)

الفـــــتى : هل ستبلغ الشرطة؟

الغــــلام : كــــلا .

(الغلام يختفى ثم يغلق الباب)

الـفـــــــتـى : ملعون ابن معلون . .

(الفتاة تعاود البكاء)

الـفـــــــتـى : كفى . . كفى وإلا . .

الفـــــتـــــاة : قضى علينا بالهلاك .

الـفـــــــتـى : لقـد رجـع الغـلام، وربما رجع مرة أخرى، ولعل غيره يجىء .

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الـفـــــــتـى : يخيل إلىّ أن العجـوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى . الطيبة كانت حرفته لا طبيعته، وآى ذلك أننى منحدر من صلبه، غيـر معقـول أن تكون أمى مسئـولة وحـدها عن دمى العـربيـد، ولـبـيت نداءه وأنا فى غـفلة من مكره فتتابعت الأخطاء .

الفـــــتـــــاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون!

الـفـــــــتـى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفـــــتـــــاة : ليس الغـلام غـلاما ولا المخبر مـخبرا . . وسـوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الـفـــــــتـى : فلتقع الكوارث بغير حساب .

(صمت.. ثم تنزل الستار)

* * *

ترفع الستار . ضـوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصـباح مازال مـشتـعلا. الفـتى والفـتاة نائمـان ورأسـاهما مطروحـان على مسندى الكرسيين.

يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق.

يدخل رجل ضـخم أنيق الملبس ولكنا نعـرف فيـه المخبـر فى

ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة. الفتى والفتاة يستيقظان. يبدو عليهما الإرهاق. ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم.

الضابط : من أنتما؟ . . من فعل بكما ذلك؟

الفتى : من حضرتك؟

الضابط : ضابط النقطة .

الفتاة : أنقذنا من فضلك .

(الضابط يحل وثاقهما. يقفان وهما يتأوهان. يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)

الضابط : من أنتما؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .

الفتاة : وأنا الزوجة .

الضابط : ماذا حدث لكما؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا؟

الضابط : أى غلام؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى .

الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له!

(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج. يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول)

الضابط : مالك؟

المهندس : لماذا تنظران إلىّ هكذا؟

الفتى : أنت!

الفتاة : هو . . جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم!

(ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما. المهندس يتراجع دهشا مستنكرا)

الضابط : أى مجرم تعنى؟ . . المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر . . هو اللص . . هو الذى سرقنا . .

(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة!

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم

الضابط : كفى هذيانا!

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاول خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .

(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك، لقد عانيت ليلة غاية فى السوء، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك، هل فقدت مالا كثيرا؟

الفتى : أنت أدرى بمقداره.

الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى!

الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتدى علينا.

الضابط : كف عن هذيانك، من صالحك أن تكف عنه.

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال الممتازين فى المجتمع.

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان؟

الفتى : إنى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى.

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد.

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى.

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الإلكترونية.

الفـــتـــاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته؟

المـهـنـدس : حـاولـت وعـرضت عليـه بيتـا جـديـدا فى مطلع الحى، ولكن كـان لكل منا لغـة يسـتعـصى على الآخـر فهمها!

الـفـــتـى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه؟

المـهـنـدس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا!

الـفـــتـى : أنت إذن. .

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة كلامه، وتنتحى به جانبا)

الفـــتـــاة : تمالك نفسك

الـفـــتـى : لكنه هو عينه.

الفـــتـــاة : لندع ذلك للتحقيق، المهم الآن بيع البيت.

الـفـــتـى : سيشترى بمالى.

الفـــتـــاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص.

الـفـــتـى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى!

الفـــتـــاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك.

(يعودان إلى الجماعة)

الفـــتـــاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب!

المـهـنـدس : ليرحمه الله رحمة واسعة.

الـفـــتـى : أكنت تؤمن به؟

المـهـنـدس : كنت أحبه.

الـفـــتـى : هل شهدت احتضاره؟

المـهـنـدس : لكننى مشيت فى جنازته، أين كنت أنت؟

الفـــــتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم .

المــهــنــدس : حضـرة الضـابط كفيـل باسترداد ثروتك الضائعة ، وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك .

الفـــــتى : ولكنك لم تؤمن به؟

المــهــنــدس : (ضاحكا) كان يقـول لى «الطمـأنينة هى هدف النفس البشـرية» فـأقول له «بل التـقـدم يا مـولانا ولـو بالجـهـد والقلق» .

الفـــــتى : ولو بالاعتداء والنهب !

الفـــتـــاة : لنعد إلى مشروع المصنع .

المــهــنــدس : ثبت الآن أن للبـيت وريثـا ، وعليـه فـلابد من انتظار الإجراءات الخاصة بإثبات الوراثة .

الفـــتـــاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشـارف الصحـراء ، ولا تنس أثاثه القديم النادر !

المــهــنــدس : لا حاجة بى إلى الأثاث .

الفـــتـــاة : والكتب التى صنعت المعجزات؟ !

المــهــنــدس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات !

الفـــتـــاة : أظن آن لنا أن نتكلم عن الثمن .

المــهــنــدس : لن أبخسكم حقكم ، وسنتكلم عن ذلك فى حينه .

(المهندس يستأذن فى الانصـراف. وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى ويسأله)

: وأنت . . ما مهنتك؟

الفـــــتى : صاحب خمارة .

المـهـنـدس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا.

(المهندس وسكرتيره يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الضـابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق

ستـار